مجلة الدراسات الأثرية ISSN: 1111-7699
المجلد: 19..العدد: 1/2021/.ص ص:127-144 EISSN2600-6499

المنشات المعمارية لسلاطين بني زيان بالمغرب الأوسط السلطان أبو حمو وابنه أبو تاشفين نموذجا

The architectural constructions of the sultans of Bani Zayan in Middle Morocco, Sultan Abu Hamo and his son Abu Tashfin as a model

بوطبة محفوظ[1*] ،عريف كريم [2]،
[1]جامعة الجزائر2–معهد الآثار– الجزائر boutmah2080@yahoo.com
[2] جامعة عنابة (البوني)، Karim.arif@hotmail.fr

تاريخ الإستلام 2021/05/21 تاريخ القبول .../..../2020 تاريخ النشر .../..../2020

الملخص:

تعاقبت على حكم بلاد المغرب الأوسط منذ القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد عدة دول مستقلة، آخرها الدولة الزيانية التي قامت على أنقاض الدولة الموحدية على غرار الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى و الدولة المرينية بالمغرب الأقصى، وكان ذلك في النصف الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر للميلاد وقد تميزت معظم فتراتها التاريخية بعدم الاستقرار نتيجة كثرة الحروب مع الدولتين السابقتين الذكر.

رغم الانعكاسات السلبية للظروف الأمنية على مجالات الحياة بالدولة إلا أن ذلك لم يمنع من أن تكون لها انجازات معمارية مختلفة على امتداد ما يفوق ثلاثة قرون من الزمن، ونظرا لأهمية هذا الموروث الثقافي المادي في إثراء التاريخ الحضاري للجزائر حاولنا التعريف به انطلاقا من المادة العلمية المتوفرة، لكن بما أن الإطار المكاني و الزماني لهذه الدولة شاسع اقتصرنا بحثنا على التعريف بالإنجازات المعمارية للسلطان أبي حمو موسى وابنه أبو تاشفين عبد الرحمان في الفترة الممتدة ما بين (707–737هـ/1327–1337م) والتي تعد من أهم فترات الازدهار في تاريخ بني زيان.

توصلنا في نهاية البحث إلى معرفة الأوضاع الأمنية التي سادت فترة حكم السلطانين، وقد ساعدنا ذلك في تقييم المكانة العسكرية التي كانت عليها الدولة الزيانية خلال هذا العهد والتي كان لها انعكاس إيجابي على تطور العمارة عامة، كما سجلنا كذلك كثرة وتنوع المظاهر المعمارية بتلمسان وغيرها من المدن و المناطق ميزت هذه الفترة من تاريخ الجزائر الوسيط،نذكر منها المساجد والمدارس والقصور والحصون .

الكلمات المفتاحية: المغرب الأوسط، تلمسان، ابو تاشفين، حصن أزفون، حصن تمززدكت..

* المؤلف المرسل

Abstract:

Sevral independent states have ruled the Middle Maghreb since the second century AH / eigth century CE, the last of which is the Zayanid state that was established on the the ruins of the Almohad state, smilar to the Hafsid state in the Near Maghreb and the Marinid state in the Far Maghreb, and that was in the first half of the seventh century AH / thirteenth CE. most of its historical periods were marked by instability as a result of the frequent wars with the two aforementioned countries. schools, pqlqces

Despite the negative repercussions of the security conditions on the areas oflife in the country, this did not prevent it from having various architectural achievements over more than three centuries of time, and given the importance of this material cultural heritage in enriching the civilizational history of Algeria, we tried to define it based on the available scientific material, but since the spatial and temporal framework of this country is vast, we confined our research to introducing the architectural achievements of sultan Abu Hammo Mussa and his son Abu Tashfine Abd Er-rahman in the period between(707-737 AH / 1307-1337 AC), which is one of the most important periods of prosperity in history of Bani-zayan.

At the end of the research we came to know the security conditions that prevailed during the rule of the two sultans, and this helped us to assess the military position of the Zianid state during this era, which had a positive reflection on the development of architecture in general, and we also recorded the abundance and diversity of architectural features in Tlemcen and other cities and the regions that characterized this period of the medieval history of Algeria, we mention among them the mosques, schools ,walls and forts.

Keywords: Central Maghreb, Tlemcen, Abu Tashfine, ,Fort of Azeffoun, Fort of Tamzezdekt

1.مقدمة:

إن المتصفح لتاريخ الدولة الجزائرية بين الماضي والحاضر يصعب عليه الوقوف على فجوات في مراحلها التاريخية المختلفة رغم التباين القائم بينها في الأحداث التاريخية والإنجازات الحضارية التي تتميز بها، وبصفتنا باحثين في مجال علم الآثار وجب علينا الحرص على تعداد أشكال هذه الإنجازات وتقييدها بناءًا على المصادر المادية والكتابية المتاحة في الوسط العلمي .

نظرا للامتداد التاريخي الكبير الذي لا تسع مثل هذه البحوث العلمية لتغطية هذه الإنجازات وقع اختيارنا على آخر مرحلة من التاريخ الوسيط للجزائر ممثلة بالدولة الزيانية التي حكمت المغرب الأوسط في ظروف خاصة غلب عليها

الصراع العسكري مع الطرف المريني والحفصي، وقد رهن هذا الصراع مستقبل البلاد في أكثر من مرة إلا أنه لم يمنع التئام جروحها، وقد تجلى ذلك في جوانب الحياة المختلفة ومن ضمنها حركة التعمير التي شملت أملاك الدولة خاصة بمدينة تلمسان دار ملك بني زيان.

إن امتداد حكم بني زيان للمغرب الأوسط الذي يزيد عن ثلاثة قرون من الزمن جعلنا نقتصر موضوع بحثنا على النصف الأول من القرن 8 هـ/ 14 م، تولى حينها الحكم السلطان "أبو حمو موسى الأول" وابنه "أبو تاشفين" بعد أن خرجت تلمسان من حصار بني مرين قارب عقدا من الزمن، وللإحاطة بالموضوع نحاول الإجابة على **الإشكالية التالية:** ما هي المظاهر المعمارية التي طبعت هذه الفترة من الحكم الزياني لبلاد المغرب الأوسط مع تحديد الظروف التي أقيمت فيها؟.

اعتمدنا في دراسة هذا الموضوع على المنهج التاريخي والوصفي المناسبين لمعالجة هذا النوع من البحوث الأثرية، من حيث المساعدة على التعريف بالأعلام والتاريخ للمنشآت المعمارية المعنية بالدراسة إضافة إلى تقديم وصف معماري لها.

نهدف من وراء هذه الدراسة إلى الوقوف على جانب من الإنجازات المعمارية الكثيرة لسلاطين بني زيّان، انطلاقا من المادة الكتابية المتوفرة وتأكيدها بالشواهد المادية الموجودة في الميدان، وفي ذلك تعريف بالمخلّفات المعمارية لهذه الدولة وإثراء للسجل الحضاري للجزائر.

2.لمحة تاريخية:

شهدت بلاد المغرب مطلع القرن 7 هـ/ 13 م انهزام الدولة الموحدية أمام النصارى بمعركة العقاب بالأندلس سنة 609هـ/ 1212م، وقد كان ذلك إذانا لميلاد ثلاثة دول : الحفصية والمرينية والزيانية، هذه الأخيرة التي قامت بالمغرب الأوسط على يد السلطان "يغمراسن بن زيان" سنة 633 هـ/ 1235م[1].

تولى السلطان "يغمراسن" تسيير أمور دولته إلى أن وفته المنية سنه 681هـ / 1283م، و اتسمت هذه الفترة بكثرة الحروب خاصة ضد بني مرين الذين واجههم في اثني وسبعين معركة [2]، وانتقلت السلطة من بعده إلى السلطان "ابو سعيد عثمان الأول" (681هـ- 703هـ/ 1283م-1303م)، تعرضت حينها تلمسان إلى خمسة حملات عسكري متتالية من طرف بني مرين بقيادة السلطان "يوسف بن يعقوب بن عبد الحق (695هـ-706هـ/ 1286م-1370م)[3] ، نذكر

[1]- عبد العزيز لعرج، (مجموعة المنشآت المعمارية للسلطان المريني ابي الحسن بالعباد)، مجلة دراسات تراثية، العدد 2، 2008، ص، 52.

[2]- شارل اندري جوليان، تاريخ افريقية الشمالية،الدار التونسية للنشر، تونس، 1985،ج.2، ص، 202.

[3]- محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق محمود اغا بوعياد، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص. 130 .

منها حملات سنة 687هـ و697هـ و698هـ، وقد عزم في هذه الأخيرة على حصارها وأن لا يرتحل عنها حتى يأخذها، ونتج عن هذه الحملات احتلال المدن المجاورة لتلمسان وهي ندرومة وهنين وتاونت، وفي السنة الموالية وسّع سلطته على حساب مدن أخرى مثل وهران ومستغانم وتنس ومليانة، وفي سنة 700هـ/ 1300م أسس مدينة المنصورة و جعل منها معسكرا لمحاصرة تلمسان[4]. كما استطاع في نفس السنة بسط سلطته على مدن مختلفة شرق وغرب البلاد، كالقصبات و برشك و ونشريس ومازونة والبطحاء و تامزجدرت ناحية وجدة، وتخللت هذه الأحداث سنوات جفاف وقحط انعكست سلبا على مجالات الحياة بالبلاد عامة وبتلمسان خاصة[5].

توفي السلطان أبو سعيد سنة 703هـ / 1300م دون أن يجد مخرجا لهذه الأزمة وخلفه على العرش ابنه أبو زيان (703-707هـ/ 1303- 1308م) الذي توفي هو الآخر وحصار المدينة مستمر، فبويع مكانه أخوه السلطان "أبو حمو موسى الأول" (707-718هـ/ 1308-1318م) سنة 707هـ/ 1308، وقد عرفت هذه السنة مقتل السلطان المريني ابو يعقوب ورفع الحصار عن المدينة بعد مضي ثمانية سنين وثلاثة أشهر[6]، خربت خلالها عمارتها وقلّت الغلاّت وارتفعت الأسعار ومات و رحل عنها الكثير من أهلها[7].

اتخذ السلطان "أبو حمو" بعد رفع الحصار عن المدينة مجموعة من التدابير الأمنية كإجراءات احترازية في حالة مداهمة العدو للمدينة من جديد، ومن جملة هذه الأعمال بناء الأسوار والستائر وحفر الخنادق وتخزين ما يكفي لأيام الشدة من المؤونة[8].

بعد أن نظم السلطان أموره، شرع سنة 712هـ/1312م في استرجاع أملاك دولته بتوجيه حملات عسكرية ضد الخارجين عن طاعته أيام الحصار، حيث شملت تجين ومغراوة وامتدت شرقا إلى متيجة ومليكش، إلا أن خبر تحرّك السلطان المريني "أبو سعيد عثمان" (710- 731هـ/ 1310-1331م) باتجاه تلمسان جعله يعود أدراجه[9].

في سنة 714هـ/ 1314- 1315م ثار "راشد بن محمد المغراوي" بشلف، فتحرك السلطان على رأس عسكره إليه ونزل بوادي تهل، حيث شيّد قصره لمحاصرة أتباع راشد ففر هذا الأخير إلى بلاد زواوة الخاضعة لبني حفص، وكانت هذه الحادثة فرصة سانحة لمدّ عملياته العسكرية شرقا للتضييق على الحفصيين، وأسند هذه المهمة إلى قادة جيشه "محمد

---

[4]- ابن ابي زرعالفاسي،الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص.411 - 408

[5]- نفسه، ص. 411 - 408.

[6]- محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص ص.130-133.

[7]- ابو زكرياء يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكرالملوك من بني عبد الواد، مطبعة بيير فونطانا الشرقية، الجزائر، مج.1، 1903، ص126.

[8]- محمد بن عبد الله التنسي، المرجع السابق، ص. 135.

[9]- نفسه، ص. 136

يوسف" و"العلج مسامح" و"موسى بن علي الغزي" و"مسعود بن أبي عامر" الذي شيّد حصن أزفون ليكون قاعدة يسرّح منها عسكره لشد الخناق على بجاية[10].

واصل السلطان "أبي حمو" خدمة دولته بتفان وصرامة ولو كان ذلك على حساب وليّ عهده ابنه "أبو تاشفين" الذي كان سببا في مقتله سنة 718هـ/1318م[11]، وعلى إثرها تسلّم "أبو تاشفين" (718-737هـ/ 1318-1337م) دار ملك بني زيان ومن حينها استكانت البلاد له وأحكم قبضته على عدوه بني حفص، حيث عرفت الدولة على عهده حملات عسكرية منقطعة النظير وكان ذلك سنة 721هـ، 722هـ، 724هـ، 725هـ، 726هـ، أسند قيادتها إلى قواده يتقدمهم كبير الجيش "موسى بن علي الغزي" للتضييق على عدوه بقسنطينة وضواحيها ومحاولته أخذ بجاية، وقد ترتب عن هذه الحركة بناء حصن بكر و تامزيزدكت[12].

استمرت هذه الحملات سنوات 728هـ-729هـ / 1328-1329م، وتولى قيادة الحملة الأخيرة بنفسه لاحتلال بجاية نزولا عند طلب بعض أهلها لغياب حاكمها الحاجب "ابن سيد الناس" عنها، إلا أن عودته جعلت السلطان "أبا تاشفين" يتراجع إلى حضرته بتلمسان، وفي طريق عودته أمر قائد حصن تامزيزدكت عيسى بن مزروع الياتكشي ببناء حصن الياقوتة خارج بجاية[13].

تجددت هذه الحملات سنه 730هـ / 1330م وامتدت إلى تونس دار ملك بني حفص، وفي السنة الموالية تجدد الصراع مع بني مرين من جديد وعرفت هذه السنة وفاة سلطان المغرب "أبو سعيد" وعيّن ابنه السلطان "أبو الحسن" (731-749هـ /1331-1348م) خلفا له ومن حينها تجدد الصراع بين الطرفين بعد أن وضعت الحرب أوزارها مدة من الزمن[14].

أخذت الأحداث على عهد السلطان أبي الحسن اتجاها مغايرا في موازين القوى، حيث تحرك في سنه 732 هـ /1332م إلى تحرير بجاية بطلب من بني حفص الذين تجمعهم به علاقة مصاهرة، ونتج عن هذه العملية رفع الحصار على بجاية وهدم قلعة تامزيزدكت[15].

[10]- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص. 1862.

[11]- ابو زكرياء يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص. 131.

[12]- نفسه، ص ص. 135-137.

[13]- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص.1866.

[14]- ابو زكرياء يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص. 139-140.

[15]- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، 1866.

حلّ السلطان "أبو الحسن" بتلمسان سنة 735هـ/ 1335م وضرب عليها حصارا استمر إلى رمضان من سنة 737هـ/ 1337م تاريخ اقتحام المدينة، وقتل يومها السلطان أبا تشفين" وهو يقاتل بقصره[16].

رغم كثرة الحروب التي سادت فترة حكم السلطان الزياني، إلاّ أن ذلك لم يمنع من أن يتميز عن غيره من سلاطين بني زيان بكثرة الإنجازات المعمارية وتنوعها كتشييد الدور والقصور والمصانع والمدارس وغيرها[17].

3. المنشآت المعمارية:

1.3-العمارة الدينية:

1.3. 1- مسجد أولاد الإمام:

موقعه وتاريخه:

كانت عمارته متصلة بالمدرسة القديمة (مدرسة أولاد الإمام) التي شيّدت بأطراف المدينة ناحية باب كشوط، على عهد السلطان "أبي حمو " في حدود سنة 710هـ/ 1310م وهو نفس تاريخ بناء المسجد[18].

الوصف المعماري:

يندرج المسجد ضمن مساجد الوحدة الواحدة، حيث يتكون من بيت صلاة نلج إليها من مدخل واحد بالجانب الشمالي لها، وهي تتشكل من ثلاثة أساكيب موازية لجدار القبلة حيث المحراب الذي تعلوه قبة مضلعة الشكل، وسقفه جمالوني يكسوه قرميد نصف أسطواني.

تشغل المئذنة أحد جوانب بيت الصلاة، لها شكل مربع ومشيدة بمادة الآجر وبدنها مزخرف بتكسيات خزفية متنوعة وينتهي بأربعة شرافات ركنية، ويعلوه جوسق صغير الحجم.

لم تخلُ عمارة المسجد من العناصر الزخرفية منفّذة على أرضيات جصية أو خشبية على غرار غيره من مساجد المدينة، ويتجلى ذلك في الزخارف الجصية والنباتية (مراوح نخيلية) بمحراب بيت الصلاة[19].

2.1.3-مدرسة أولاد الإمام:

شيّدت بالجهة الغربية من مدينة تلمسان بجوار إحدى أبوابها الرئيسية الخمسة التي تعرف بباب كشوط[20]، وقد أطلقت عليها هذه التسمية نسبة إلى إبني الإمام الفقيهين أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى الذين كان والدهما إماما بمدينة برشك[21]، كما عرفت المدرسة أيضا باسم المدرسة القديمة[22].

---

[16]- محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص. 146.

[17]- ابو زكرياء يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص.134. أنظر: مارمول كربخال، افريقيا، دار نشر المعرفة، الرباط،ج.2، 1989، ص.302.

[18]- وليم و جورج مارسي، المعالم الأثرية العربية بتلمسان،ط.1، الأصالة للنشر والتوزيع، تلمسان،2011، ص. 237.

[19]- نفسه، ص ص.239-245.

[20] - Charles Brosselard, (les inscriptions arabes de Tlemcen), revue africaine , N15 , 1859, PP.167-168.

[21] - ibid- PP.167-168.

تعتبر المدرسة أقدم مدارس تلمسان، وهي من أعمال السلطان "أبو حمو موسى الأول"[23]، شيدها سنة 710هـ/ 1310م[24]، وظلّت عمارتها قائمة إلى أن هدمها الاحتلال الفرنسي خلال القرن 19م[25]

3.1.3-المدرسة التاشفينية:

موقعها وتاريخها:

كانت تشغل موضعا بجوار المسجد الكبير المرابطي بتلمسان[26]،وتعرف المدرسة أيضا باسم المدرسة الجديدة[27]، تمييزا لها عن المدرسة القديمة، ولقد جاءت الكثير من المنشآت المعمارية الإسلامية على هذا النحو، مثل تلمسان الجديدة (المنصورة) والقديمة، والمدرسة الكبرى والصغرى بمدينة فاس[28]، والثكنة القديمة والجديدة بمدينة الجزائرالعثمانية[29]، وتعد هذه المدرسة من أهم الأعمال المعمارية للسلطان "أبي تاشفين" بالمدينة[30]حيث شيّدها سنة 727هـ/ 1327م[31].

في القرن 9هـ/ 15م قام السلطان "أبو العباس بن موسى" بتجديد عمارتها بعد أن تضررت خلال حصار السلطان المريني أبي الحسن لتلمسان[32]، وظلّت عمارتها قائمة إلى غاية فترة الاحتلال الفرنسي الذي هدمها سنة 1876م[33].

الوصف المعماري:

انطلاقا من مخطط للمدرسة مؤرخ بالحقبة الاستعمارية، نشره "لوسيان قولفان" في كتابه "المدرسة الإسلامية في الفترة الوسيطة"[34]، يظهر فيه أن المدرسة ممتدة بشكل طولي من الشمال إلى الجنوب، نلج إليها عبر مدخل بارز يتوسط الواجهة الغربية لها، يؤدي مباشرة إلى صحن مركزي مكشوف مستطيل الشكل تطوقه أروقة تطل عليه ببوائك تتشكل من عدد من العقود والأعمدة، نصل من خلالها إلى عدد من الغرف والمرافق المعيشية باستثناء الرواق الجنوبي الذي يتقدم

---

[22] - Marie, Virginie Bargés, Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom, Libraire impériale, Paris, 1859, P.326.

[23]– عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص. 1860.

[24]– وليم وجورج مارسي، المرجع السابق،ص.237

[25] - Charles Brosselard- op.cit.- revue africaine , N09, 1858, P.169.

[26] - Marie, Virginie Bargés, op.cit, PP.332-333.

[27]– محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق– 248.

[28] - Lucien Golvin, la madrasa medieval, Edsud, Paris,1995, P.221.

[29]- محفوظ بوطبة،أطلس العمارة العسكرية بالجزائر في العهد العثماني من خلال الشواهد المادية والكتابية، اطروحة دكتوراه في الاثار الاسلامية، معهد الاثار، جامعة الجزائر2، 2017-2018-ص.250.

[30]– محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص. 250.

[31] - Lucien Golvin, op.cit, P.199

[32] - Marie,Virginie Bargés, op.cit, PP.333.

[33]– محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص. 141.

[34] - Lucien Golvin, op.cit, P.199-207.

بيت الصلاة. تشغل بيت الصلاة الجهة الجنوبية الشرقية من المدرسة، وتتشكل من ثلاثة قاعات، القاعة المركزية منها يتوسط جدارها القبلي محراب مضلع الشكل وتعلوها قبة مركزية سداسية الأضلاع، كما يحتل الركن الشمالي الغربي لها مئذنة مربعة الشكل.

تحتل الميضأة الركن الجنوبي الشرقي للمدرسة، وتضم عددا من الكنانيف تُفتح على صحن مكشوف، وقد حرص المعماري على جعلها خارج الكتلة المعمارية الرئيسية للمدرسة على هيئة المساجد التي تكون مناصعها مستقلة عنها.(الشكل 01)

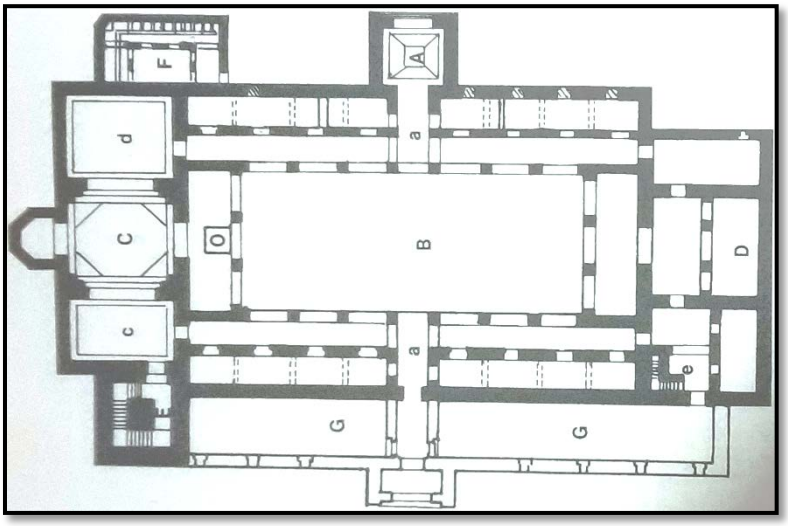

الشكل :01: مخطط المدرسة التاشفينية.

المصدر:.Lucien Golvin, La madrasa midiviel,P.200

أما من الناحية الزخرفية، يمكن القول أنها كانت أثرى من غيرها من حيث توظيف العناصر الجمالية ونستند في ذلك على مقولة التنسي: "وحسن ذلك كله ببنائه المدرسة الجليلة العديمة النظير"[35]، وتذكر الدراسات أن المدرسة قبل أن تتعرض للهدم قام المهندس "دوتُوَ– Dutoit" بالتعاون مع الرسام "دونجوي Donjoy" بالرفع المعماري والفني الزخرفي لها، فرسمت بقايا فسيفسائها وواجهاتها، ونقلت بعض بقاياها إلى فرنسا، وبعضها محفوظة حاليا بالمتحفالوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية بمدينة الجزائر[36].

2.3– العمارة المدنية:

3. 2. 1– القصور:

[35]– حمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص. 141.

[36]– عبد العزيز لعرج،(النظام المعماري لمدارس المغرب)، مجلة اثار، العدد08، 2009– ص.94.

يعتبر قصر المشور أقدم قصور تلمسان الزيانية، شيده السلطان "يغمراسن" بأعلى مدينة تلمسان ليكون مقر خلافته وأبنائه من بعده بعد أن اتخذ من القصر القديم المرابطي الذي كان بجوار المسجد الكبير مقرّا لسلطته[37].

رغم أن هذا القصر وغيره من القصور الزيانية لم تسلم من عمليات الهدم على غرار العديد من بنايات المدينة، إلاّ أن هذا لا يمنعنا من ذكرها حيث أفرد لها بعض مؤرخي هذا العهد جانبا في مؤلفاتهم، ويكفي أن نستدل على ذلك بما جاء في كتاب "العبر" من إنجازات للسلطان "أبي حمّو وابنه أبو تاشفين" في قوله: <اختطها (القصور) السلطان أبو حمّو الأول وابنه أبو تاشفين، واستدعى لها من الصنّاع والفعلة من الأندلس>>[38].

كما عدّد أخوه يحيى بعض أعمال السلطان "أبو تاشفين" من القصور وخصّها بالذكر بالاسم، كقصر الملك ودار السرور وأبيفهر[39].

2.2.3-عمارة المياه:

الصهريج الكبير:

موقعه وتاريخه:

لا تزال آثاره قائمة اليوم في الجهة الغربية خارج أسوار المدينة حيث نصل إليه من باب كشوط[40]، وقد كان يعرف على عهد بني زيان بالصهريج الأعظم، وحاليا بصهريج مبدى[41].

يعدّ الصهريج من أعمال السلطان "أبي تاشفين" في الفترة الممتدة ما بين 718 و737هـ/ 1318-1337م[42]، وتذكر الدراسات أنه كان يستمد مياهه من ينابيع لالة سيتي أعالي المدينة، ومنه توزع على الحقول والدور في أوقات الجفاف ولمواجهة الحصار في زمن الحروب[43].

الوصف المعماري:

شيّد الصهريج على أرضية مرتفعة متخذا وضعية تسمح بتوزيع المياه على الدور والحقول طبيعيا، وقد اتخذ شكلا مستطيلا طوله 200م وعرضه 100 م وعمقه 3م[44]،تحدّد معالمه جدران مزدوجة أحدهما رئيسي والآخر للتدعيم ويقدر سمكهما معا حوالي 6 م[45]، واستعمل في تشكيلهما خليط من مادة البناء يتركب من الجير والرمل والحصى[46].

---

[37]- محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص ص.436-437.

[38]- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، 1889.

[39]- ابو زكرياء يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص.134.

[40]- محمد بن عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص. 140.

[41]- نفسه، ص.140.

[42]- وليم وجورج مارسي، المرجع السابق، ص.149.

[43] - Thomas Shaw, voyage dans la régence d Alger, Marlin éditeur, Paris, 1830, P.242.

[44]- وليم وجورج مارسي- المرجع السابق- ص.149.

[45] - Marie,Virginie Bargés, op.cit, PP.351.

3.3-العمارة الحربية:

1.3.3-أسوار مدينة تلمسان:

لمحة تاريخية:

يعود تاريخ إنشاء مدينة تلمسان إلى فترة الأدارسة منتصف القرن 2هـ/ 8م تحت اسم "أغادير"[47]،وكانت حينها محصنة بسور يتقدّمه سور آخر ساتر مشيّد بالحجارة[48].

توسعت المدينة في الفترة المرابطية على عهد الأمير "يوسف بن تاشفين" جنوبا، حيث شيّد المدينة الجديدة "تاجرارت" وجمعهما تحت سور واحد على هيئة مدينة فاس، وتدعّمت تحصينات المدينة بصفة عامة على عهد ابنه "الأمير علي" في ظل تهديد الموحدين لها بقيادة الخليفة "عبد المؤمن بن علي"، الذي تمكّن من المدينة في مستهل العقد الأخير من النصف الأول من القرن 6هـ / 12م[49].

لقد كلّف دخول المدينة من طرف الموحديين خراب أسوارها التي أهملوها[50]، وبقيت على حالها إلى غاية النصف الثاني من القرن 6هـ/ 12 م، تاريخ إصلاحها من جديد من طرف"موسى بن يوسف العسكري بن عبد المؤمن بن علي"، وأكملها من بعده أخوه "أبو حفص"، وذلك اجتنابا لخطر بني غانية[51].

حرص الزيانيون بعد سقوط الدولة الموحدية على تحصين المدينة وجعلوا منها على رأس انشغالاتهم في ظل الخطر الذي كان يحدق بهم خاصة من طرف بني مرين، وذلك منذ عهد السلطان "يغمراسن" الذي أوصى أبناءه من بعده بالحرص على تحصينها وتقوية أسوارها[52]، وانعكس ذلك ميدانيا بتحسين نظامها الدفاعي وفي مقدمتها الأسوار التي بلغ عددها سبعة أسوار[53]، كان للسلطان "أبي حمو" نصيبا فيها[54].

الوصف المعماري:

إضافة إلى الامتيازات الدفاعية الطبيعية لموضع بناء مدينة تلمسان، عزّز الزيانيون هذه الأخيرة بتحصينات معمارية هامة تتقدّمها الأسوار التي تحتضن المدينة بقسميها السفلي والعلوي. تحيط بالمدينة الممتدة بشكل طولي من الشمال إلى الجنوب أسوار من الطّابية، مسارها غير منتظم متأثرة بطبيعة أرضية التشييد.

---

[46] - Thomas Shaw, op.cit, P.242.

[47] - Charles Brosselard, op.cit, revue africaine, N14 , 1858- P.81.

[48]- إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984،ص.133.

[49]- محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص ص.424-425.

[50] - Rachid Bourouiba, l'architecteur militaire de l Algérie, O.P.U., Alger, 1983, P.89

[51]- ابو زكرياء يحيى ابن خلدون- المصدر السابق- ص.91.

[52]- رشيد بورويبة، الجزائر في التاريخ، في العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984-ج.3، ص370.

[53]- وليم وجورج مارسي،المرجع السابق، ص.131.

[54]- ابو زكرياء يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص.127.

يبدأ مسار السور من باب القرمديين في الشمال الغربي للمدينة، يمتد شرقا أعلى المنحدرات الصخرية الشمالية إلى أن يتصل بباب سيدي الحلوي، ومنه يواصل مساره على نفس الامتداد تقريبا إلى أن يتصل بباب العقبة بالسور الشرقية للمدينة.

يتجه السور من باب العقبة صعودا نحو الجنوب إلى أن يشرف على وادي الصفصاف (وادي متشكانة)، حيث يغيّر مساره غربا متبعا مجراه إلى أن يصل خلف بيت الريش حيث موضع باب الجياد، ومن هناك يغيّر مساره غربا إلى أن يتصل بالباب الجنوبي، ومنه يمتد على نفس المسافة تقريبا ليصل إلى الركن الجنوبي الغربي للمدينة، ونظرا للعيوب الدفاعية لهذه الجهة كالاعتدالفي أرضيتها وقلّة الموانع الطبيعية التي تحول بين المدينة والعدو إذا ما باغتها من هذه الجهة، قام الزيانيون بتدعيمها بإقامة سور ساتر أمام السور الأعظم، يتقدّمه بدوره خندق، وقد تمّ ذلك على عهد السلطان "أبي حمو الأول".

يتجه السورشمالا من الركن الجنوبي الغربي ليتصل بباب كشوط خامس الأبواب الرئيسية للمدينة بنواحي الصهريج الكبير، ومن موضع الباب يستمر السور نزولا في نفس الاتجاه ليتصل بباب القرمديين حيث ينتهي مسار سور المدينة.(الشكل: 02)

كانت أسوار المدينة متينة وعالية مدعّمة بأبراج حائطية مربعة الشكل، مزودة بممشى يحميه جدار ساتر، تعلوه شرافات معظمها هرمية الشكل على هيئة شرافات الأسوار الحفصية بمدينة عنابة وبجاية[55].

2.3.3-الحصون:

1.2.3.3-حصن أزفون:

موقعه وتاريخه:

شيّد الحصن بنفس موضع قرية أزفون في وضعية مطلّة على البحر على ارتفاع لا يزيد عن 400م[56]، ويعود تاريخ إنشائه إلى عهد السلطان "أبي حمو موسى الأول" على يد قائد جيشه وابن عمه "مسعود ابن أبي عامر برهوم" في حملته على بجاية سنة 714هـ/ 1314- 1315م[57].

[55]- محفوظ بوطبة، المرجع السابق، ص.429.

[56]-الاسعد شوشان، الموانئ والمراسي بالمغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة، رسالة ماجستير في علم التراث،جامعة تونس، تونس،2009-2010،ص.336.

[57]- عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص.1862.

الشكل :02: مسار سور تلمسان في الفترة الزيانية.
المصدر: وليم و جورج مارسي، المعالم الاثرية العربية بتلمسان ، ص. 150)

واصل الحصن أداء مهامه الحربية من طرف الحفصيين مطلع القرن 16م[58]، قبل خضوع مدينة بجاية للاحتلال الإسباني سنة 1510م، الذي نتج عنه قيام إمارتي "بني عباس"و"كوكو"، هذه الأخيرة التي كانت تستعمل مرسى أزفون (مرسى الفحم) في مبادلاتها التجارية مع بعض الدول الأوروبية مثل فرنسا[59].

يبدو أن الحصن قد تواصل استغلاله على عهد الأتراك، ففي فترة حكم محمد قوصة(1603- 1605) صدّ غارة إسبانية على مرسى أزفون[60]، وفي سنة 1608 بعث باشا الجزائر حامية إلى هناك، حيث أفشلت صفقة بيع الميناء للفرنسيين[61]، وظلت معالم الحصن قائمة إلى أن هدم نهائيا سنة 1849م[62].

الوصف المعماري:

شيّد الحصن على أرضية محصنة طبيعيا بفضل المنحدر الصخري العميق الذي يحيط بها من جهاتها الثلاثة الجنوبية والشرقية والغربية، وقد ساعد موضع إنشائه على اتخاذ عمارته شكلا مستطيلا بمساحة تقدر بحوالي 8000م^2 ، وتحيط به أسوار مشيدة بالحجارة المصقولة التي تعود إلى الفترة الرومانية، وندخل إليه عبر باب فتح بالجهة الشمالية له، نلج من خلاله إلى داخله حيث توجد مرافق مختلفة منها عدد من القاعات المسقوفة بأقبية[63].

[58] - Charles Féraud, (Conquête de Bougie par les espagnols), revue africaine, N71, 1868, 344.

[59]-مارمول كربخال، المصدر السابق، ص. 375.

[60]– احمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا الجزائر176-1791، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص.33.

[61]– سامح عزيز التر، الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، ط.1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989،ص.321.

[62]– الاسعد شوشان، المرجع السابق، ص.336.

[63] - Général Thomas, (Ruines de Zeffoun, revue africaine) n12,_1858, PP.441-442.

2.2.3.3 –حصن بكر:

موقعه وتاريخه:

كان موضعه أسفل بني أوغليس على وادي بجاية على بعد يومين منها[64]،شيّده القائد "موسى بن علي الكردي" على عهد السلطان "أبي تاشفين" في حملته على بجاية سنة 721هـ/ 1321م[65].

يعتبر هذا العمل المعماري تجديدا لحصن بكر الحمادي الذي كان قائما بالطريق الرابط بين الناصرية ومدينة القلعة بالمسيلة، وقد جاء وصفه في كتاب "نزهة المشتاق" للإدريسي بقوله: "وحصن بكر حصن حصين على مراع ممتدة والوادي الكبير يجري مع أصل وبجنوبه وفيه سوق وبيع وشراء[66]

3.2.3.3 –حصن تامزيزدكت:

موقعه وتاريخه:

شيّد بالضفة الشرقية لوادي الصومام على بعد يوم من بجاية (25– 28كلم)[67] حيث كانت المستعمرة الرومانية "تبسبتو"[68]Tubusptus، وهو بذلك يحتل نفس موضع حصن "تاكلات الحمادي" الذي كان من أهم المحطات بالطريق الواصل بين القلعة وبجاية على غرار حصن بكر، وقد جاء وصفه عند الإدريسي في قوله: <<حصن تاكلات وبه المنزل وهو حصن منيع على شرف مطل على وادي بجاية وبه سوق دائمة وبه فواكه ولحوم كثيرة رخيصة وبحصن تاكلات قصور حسان وبساتين وجنات ليحيى ابن العزيز"[69].

سمي الحصن بتامزيزدكت نسبة إلى اسم الحصن القديم الذي كان لبني عبد الواد بوجدة [70]،ويقصد به عند البربر المصفاة[71]،ويعرف أيضا باسم حصن تاكلات (تِكلات) وتعني القلعة بلسان البربر[72].

يعود تاريخ إنشاء الحصن إلى عهد السلطان "أبي تاشفين" وهو من عمل القائد موسى بن علي الكردي لحصار بجاية، وكان ذلك سنة 726هـ/ 1326م، وقد جاء خلفا لحصن بكر الذي أصبح غير صالح للعمليات العسكرية لبعده

---

[64] - Charles Féraud, (Histoire des villes de la province de Constantine), R. de Constantine,_ N13, 1869, P.186.-

[65]- الشريف الإدريسي،المغرب وارض السودان ومصر والأندلس،مطبعة بريل، ليدن، 1866، ص.92.

[66] - Ernest Mercier, Histoire de berbère, Ernest Leroux- Paris, 1868, P.273.

[67] - Charles Féraud, Histoire des villes …, op.cit, P.188.

[68]– الشريف الإدريسي، المصدر السابق، ص.92.

[69]– عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص.1865.

[70]– حسن الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ط.2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983،ج.2، ص.11.

[71] - Charles Féraud, Notes sur…, op.cit, P.305.

[72]-عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص. 1865–1866.

عن بجاية[73]، إضافة إلى المحاسن الطبيعية التي يتوفر عليها موضع حصن "تامزيزدكت"، بحيث يساعد على مراقبة منطقة القبائل الكبرى والصغرى في آن واحد[74].

شارك في بنائه الفعلة والعساكر، وتم ذلك في أربعين يوما، وأنزل به يومها ثلاثة ألاف من الجند وجهزه بحاجياتهم من القمح والشعير والسمن والفحم وغيرها من المؤن[75].

ظلّت القوات الزيانية معسكرة بالقلعة تضيق الخناق على بجاية وضواحيها تحت إمرة القائد عيسى بن مزروع الياتشكي[76] إلى غاية سنة 732هـ/ 1332م، تاريخ هدمها من طرف السلطان المريني أبي الحسن عند نجدته للسلطان الحفصي أبو يحيى ببجاية[77].

الوصف المعماري:

انطلاقا من دراسة أثرية أعدّها الدكتور عزوق عبد الكريم للقلعة[78]، تبيّن لنا أنّ عمارة الحصن كانت مستطيلة الشكل ممتدة من الجنوب إلى الشمال، وتحيط بها جدران من الطابية أساساتها من الحجارة، لم يتبقى من علّوها سوى 5م وسمكها يزيد عن 1م بقليل، وحسب دراسة أخرى أعدها "شارل فيرو" حول الحصن نفسه خلال القرن 19م، ذكر فيها أنّ علّو أسواره يقدّر بـ 7م وسمكها بـ 1.5م[79].

تدعم أسوار الحصن أبراج حائطية ظلعية وركنية مستطيلة الشكل، يصل بينها ممشى للجند يحميه جدار ساتر، كما يزيد من حصانتها سور أمامي واقي للسور الرئيسي، يتقدمه بدوره خندق لا يقل عرضه عن 15م[80].(الشكل 3)

[73] - Stéphane Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Librairie Hachette, Paris- 1918, T.8, P.203.

[74]- ابو زكرياء يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص.137.

[75]– نفسه، ص.139.

[76]– ابو عبد الله محمد بن براهيم الزركشي، تاريخ الدولتين، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، د.ت، ص. 145. انظر: – عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص. 1866–1867.

[77]– عبد الكريم عزوق، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها، أطروحة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2007–2008، ص.172–176.

[78] - Charles Féraud, Histoire des villes …, op.cit, P.188.

[79] - ibid, P.188.

[80]– عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص.1866.

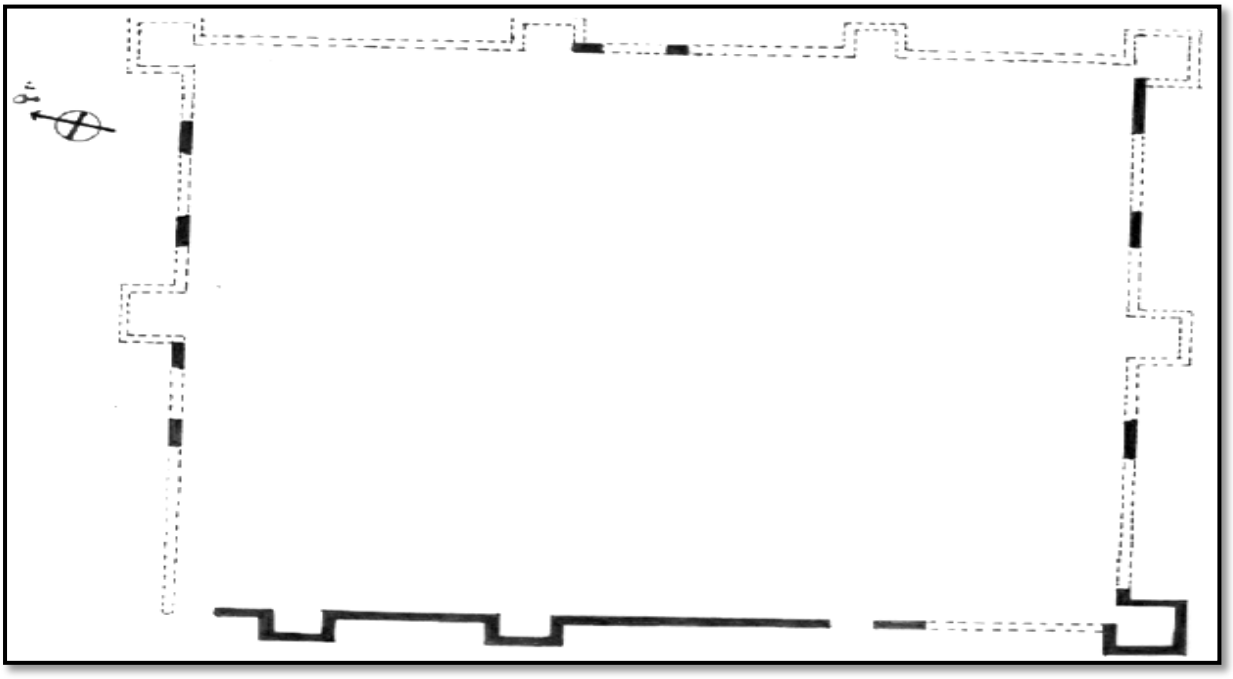

الشكل: 03: مخطط توضيحي لحصن تمززدكت ببجاية.
المصدر: عزوق عبد الكريم، المعالم الأثرية ...، ص273.

4.2.3.3 حصن الياقوتة:

موقعه وتاريخه:

شيّد الحصن بأمر من السلطان أبي تاشفين في حملته على بجاية سنة 729هـ/ 1329م[81]، وأوكل هذه المهمة إلى قائد الجيش بقلعة تامزيزدكت عيسى بن مزروع الياتكشي"[82].

اشترط السلطان على عامله أن يكون الحصن قريبا من بجاية لتشديد الحصار عليها، فاختار له موضعا عند مصب وادي الصومام) بالضفة الغربية منه، وقد ذكر مترجم الجيش الفرنسي الملازم "شارل فيرو" أن آثار الحصن كانت لا تزال قائمة سنة 1849، وهدم لتستعمل بقاياه في إنشاء الطريق السالك إلى رأس جسر البواخر الذي كان في مكان مقابل للحصن، وأضاف أنه كان يعرف عند سكان المدينة ببرج سيدي حماني[83].

[81]– ابو زكرياء يحيى ابن خلدون، المصدر السابق، ص.138.

[82] - Ernest Mercier, Histoire de Constantine, J.Marle et F. Biron imprimeurs, éditeurs, Constantine, 1903, P.138

[83] Charles Féraud, Histoire des villes …, op.cit- P.190.

4. خاتمة

انهينا موضوع الدراسة ببعض النتائج و التوصيات وهي كالأتي:

اتسمت فترة حكم السلطان أبو حمو موسى الأول وابنه أبو تاشفين بكثرة الحروب على غرار سابقيهم من حكام بني زيان، إلا أنها تميزت بتفوقهما العسكري خاصة في فترة حكم السلطان أبي تاشفين، حيث استطاع أن يحافظ على أملاك الدولة على امتداد جغرافي واسع على الأقل من وجدة غربا إلى بجاية شرقا.

أثر التفوق العسكري للدولة الزيانية خلال هذا العهد بشكل واضح على تطور العمارة بالمغرب الأوسط عامة وبتلمسان خاصة، وقد تجلى ذلك ميدانيا في إنشاء بنايات معمارية متنوعة دينية وإدارية وعمومية وعسكرية، هذه الأخيرة التي كثر تشييدها بحدودها الشرقية كقلاع حصار للتضييق على بجاية، دون إهمال عاصمة الدولة ببناء الأسوار وحفر الخنادق وتوفير المؤن وخزانات المياه احترازا من العدو.

وجود تأثيرات معمارية مشتركة بعمارة المدارس الزيانية والمرينية وذلك بحكم القرابة الجغرافية بين الدولتين، وتظهر هذه التأثيرات في مواضيع التشييد بمركز المدينة بجوار المسجد الجامع وبأطراف المدينة عند أبوابها، وفي المخطط العام لها، وفي توظيف المرافق والعناصر المعمارية المشكلة لها كجعل الميضأة خارج البناء وفي استعمال بيت الصلاة الصحن والمئذنة.

في الأخير يمكن القول استنادا على هذه الدراسة التي تمثل إطارا زمنيا وجيزا مقارنة بامتداد تاريخ الدولة الزيانية، أن سلاطين بني زيان خلفوا انجازات معمارية كثيرة على امتداد تراب الدولة الشاسع تضاف إلى إنجازات الدول الإسلامية التي قامت بالتراب الجزائري، وعليه نوصي الباحثين على مواصلة البحث في هذا المجال اعتمادا على المادة **الكتابية** والأثرية لنتمكن في الأخير من جرد هذه المكتسبات الحضارية ومنه الحفاظ عليها بعد تهيئتها، دون أن نغفل استغلالها في تنشيط قطاع السياحة ما يوفر موارد مالية جديدة للخزينة العمومية على غرار العديد من الدول ويحرر الاقتصاد الوطني من الاعتماد على قطاع المحروقات.

5.المراجع البيبليوغرافية

قائمة المصادر والمراجع العربية:

- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط،1972.
- ابو زكرياء يحي ابن خلدون،بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد،مطبعة بيير فونطانا الشرقية- الجزائر، مج.1- 1903.
- ابو عبد الله محمد بن براهيم الزركشي، تاريخ الدولتين، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، د.ت.
- احمد توفيق المدني، محمد بن عثمان باشا الجزائر176-1791، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- إسماعيل العربي، المدن المغربية،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

- حسن الوزان الفاسي- وصف افريقيا- ط.2- دار الغرب الإسلامي- بيروت-1983- ج.2.
- رشيد بورويبة، الجزائر في التاريخ،في العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر-1984،ج.3.
- سامح عزيز التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ط.1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.
- شارل أندري جوليان،تاريخ افريقية الشمالية،الدار التونسية للنشر، تونس، 1985- ج.2.
- الشريف الإدريسي،المغرب وارض السودان ومصر والأندلس،مطبعة بريل، ليدن، 1866.
- عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعالم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيت الأفكار الدولية، الأردن،د.ت.
- مارمول كربخال- إفريقيا- دار نشر المعرفة- الرباط- ج.2، 1989.
- محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تحقيق محمود أغا بو عياد،موفم للنشر، الجزائر،2011.
- وليم و جورج مارسي، المعالم الأثرية العربية بتلمسان، ط.1، الأصالة للنشر والتوزيع، تلمسان، 2011.

الأطروحات:

- الأسعد شوشان،الموانئ والمراسي بالمغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة، رسالة ماجستير في علم التراث، جامعة تونس، تونس،2009-2010.
- عبد الكريم عزوق، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها، أطروحة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2- 2007-2008.
- محفوظ بوطبة، أطلس العمارة العسكرية بالجزائر في العهد العثماني من خلال الشواهد المادية والكتابية، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2،2017-2018.

الدوريات:

- عبد العزيز لعرج،(النظام المعماري لمدارس المغرب)، مجلة آثار،العدد08،2009.
- عبد العزيز لعرج، (مجموعة المنشآت المعمارية للسلطان المريني أبي الحسن بالعباد)، مجلة دراسات تراثية،العدد 2، 2008.

قائمة المصادر والمراجع الأجنبية:

- Ernest Mercier, Histoire de Constantine, J.Marle et F. Biron imprimeurs, éditeurs, Constantine-1903.
- Ernest Mercier, Histoire de berbérine, Ernest Leroux, Paris, 1868.
- Louis Piesse, Itinéraire de l'Algérie, Librairie Hachette, Paris, 1982.
- Lucien Golvin, la madrasa médiévale, Edsud, Paris, 1995.
- Marie-Virginie Bargés, Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom, Libraire impériale, Paris.
- Rachid Bourouiba, l'architecteur militaire de l Algérie, O.P.U., Alger, 1983.
- Stéphane Gsell, Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Librairie Hachette, Paris, 1918, T.8.
- Thomas Shaw, voyage dans la régence d Alger, Marlin éditeur, Paris, 1830.

المجالات:

- Charles Féraud, (Conquête de Bougie par les espagnols), revue africaine- N71.
- Charles Féraud, (Histoire des villes de la province de Constantine), R. de Constantine, N13.
- Charles Brosselard, (les inscriptions arabes de Tlemcen), revue africaine, N15, 1859.
- Général Thomas, (Ruines de Zeffoun) revue africaine- n12-1858.